المحاضرة الثالثة
بلاد الأندلس

لقد أدى تدهور الوضع السياسي ببلاد الأندلس إلى نروح الأندلسيين و هجراتهم نحو الجزائر بصفة خاصة و المغرب الإسلامي بصفة عامة لا سيما بعد ضعف الدولة الموحدية[1] وانهزامها في معركة حصن العقاب عام 609 ه/1212م حيث كانت تلك المعركة بداية نهاية الوجود الإسلامي بالأندلس[2]، ونتيجة لضعف سلطان الموحدين بالأندلس توالت الثورات ضد الموحدين كثورة **بنيمردنيش**[3]،وابن هود الجذامي 625ه/ 1228م بألمرية[4] كما توالى سقوط العديد من المدن الإسلامية ببلاد الأندلس و انهيار الموحدين في شبه الجزيرة فرصة للخروج بقواته إلى منطقة الغرب الأندلسية و زحف على مدينة ماردة و حاصرها و استولى الليونيون على ماردة ثم احتلوا بعد ذلك مدينة تطليوس و ذلك في أواسط 627ه/1230م[5] ثم سقوط قرطبة عام 1236 بعد أن مكثت 225 سنة بيد المسلمين فهاجرها العديد من سكانها، ثم سقطت مرسية عام 1243م ثم إشبيلية عام 1248م و لم يبق بيد المسلمين بعد فترة قصيرة غير مملكة غرناطة في

لقد عرفت منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الخامس عشر و السادس عشر ميلادي صراعا دوليا بين عالمين اسلامي و مسيحي و يتجلى ذلك من خلال أهم حدثين تاريخيين بالنسبة للمسلمين و المسيحيين على حد سواء.

يتمثل الأول في فتح القسطنطينية[1] على يد السلطان العثماني محمد الفاتح 1453 فقد شكل هذا التطور العظيم منعرجا حاسما في تاريخ الدولة العثمانية التي كانت تعتبر زعيمة العالم الإسلامي آنذاك، إذ أعطى هذا الفتح دفعا جديدا للعثمانيين للمضي قدما في فتوحاتهم داخل أوربا بعد أن استطاعوا اختراق عاصمة بيزنطة و السيطرة عليها و اتخاذها عاصمة جديدة للإمبراطورية العثمانية[2].

أما الحدث الثاني فيتمثل في سقوط غرناطة آخر الممالك الإسلامية بالأندلس سنة 1492 و ذلك بعد إعلان **"فرناندو"** و **"إزابيلا"** زواجهما في 1469 و توحيدهما لمملكتيهما قشتالة و أراغون[3].

غرناطة خاصة و أن مؤشرات السقوط بدأت تظهر في الأفق و أن سلطان المسلمين أوشك على الانهيار فلم يعد الأندلسيون يعلقون عليها آمالهم و لا ينتظرون الكثير لا سيما بعد انهزام بني مرين و بني الأحمر في وقعة طريف ضد النصرانية المؤتلفة حيث هزم فيها المسلمين هزيمة نكراء سنة 741ه/1304م و قيل فيها الكثير لكن المسلمين من بينهم علماء و فقهاء المغرب و الأندلس[1]، و تحطم خلالها أسطول بني مرين تحطما تاما و اضطرب أمرهم في المغرب الأمر الذي دفع بهم إلى الانصراف عن نجدة المسلمين من ضربات النصارى فأثر ذلك في تقرير المصير المحزن للحكم العربي الإسلامي في شبه الجزيرة الإبيرية كما زاد في تشجيع الأندلسيين على ترك بلادهم نحو أماكن آمنة[2].

أقصى الجنوب آخر معقل للمسلمين بالأندلس[6] و التي كانت تحت حكم بني الأحمر و ظلت هذه الأخيرة صامدة ضد هجمات المسيحيين[7] إلا أن العديد من مسلمي الأندلس و جدوا أن هجرتهم إلى بلاد الجزائر أفضل بكثير من بقائهم ببلاد الأندلس نظرا لتوقعهم بعدم صمود

غرناطة خاصة و أن مؤشرات السقوط بدأت تظهر في الأفق و أن سلطان المسلمين أوشك على الانهيار فلم يعد الأندلسيون يعلقون عليها آمالهم و لا ينتظرون الكثير لا سيما بعد انهزام بني مرين و بني الأحمر في وقعة طريف ضد النصرانية المؤتلفة حيث هزم فيها المسلمين هزيمة نكراء سنة 741ه/1304م و قيل فيها الكثير لكن المسلمين من بينهم علماء و فقهاء المغرب و الأندلس[1]، و تحطم خلالها أسطول بني مرين تحطما تاما و اضطرب أمرهم في المغرب الأمر الذي دفع بهم إلى الانصراف عن نجدة المسلمين من ضربات النصارى فأثر ذلك في تقرير المصير المحزن للحكم العربي الإسلامي في شبه الجزيرة الإبيرية كما زاد في تشجيع الأندلسيين على ترك بلادهم نحو أماكن آمنة[2].

و من بين أشهر الزوايا و المعاهد الأندلسية في مقاطعة الجزائر دار السلطان نجد زاوية أهل الأندلس الملحقة بالمسجد بحي مسيد العدالية بمدينة الجزائر و قد ظلت هذه الزوايا منذ انشائها سنة 1639 مقصدا للعلماء و الطلبة حيث اشرف عليها الكثير من النظار و الفقهاء الاندلسيين امثال محمد بن محمد الابلي و محمد العنجدون و محمد السميع و محمد بكير و غيرها بالاضافة الى زاوية سيدي احمد الكبير بالبليدة مجاورة لضريحه فقد كان سكان المنطقة يرتادون عليها كثيرا للتبرك بها و لحفظ كتاب الله و تعلم الكتابة و القراءة[1].

و قد تخرجت من هذه الزاوية مجموعات كبيرة من طلبة العلم و معظمهم من نواحي متجية وجهات الأطلس البليدي و خاصة بني صالح و بني خليل[2].

كما توجد زاوية علي بن مبارك بالقليعة و الذي توفي سنة 1140ه/ 1631م و هي بجوار ضريح الوالي الصالح حيث ظلت هذه الزاوية منذ تأسيسها على يد المهاجر الأندلسي والذي تنسب إليه (علي بن مبارك) تقدم مختلف العلوم و تقوم بتوفير الإيواء للطلبة و عابري السبيل، هذا ما أكسبها مكانة خاصة بين السكان و جعلها مأوى للفارين من ظلم الحكام[3].

كما توجد زاوية علي بن مبارك بالقليعة و الذي توفي سنة 1140ه/ 1631م و هي بجوار ضريح الوالي الصالح حيث ظلت هذه الزاوية منذ تأسيسها على يد المهاجر الأندلسي والذي تنسب إليه (علي بن مبارك) تقدم مختلف العلوم و تقوم بتوفير الإيواء للطلبة و عابري السبيل، هذا ما أكسبها مكانة خاصة بين السكان و جعلها مأوى للفارين من ظلم الحكام[3].

وقد بنى أحد المهاجرين مدرسة مازونة المشهورة و التي تخرج منها الفقهاء خلال العهد العثماني و هو محمد بن الشارف البلداوي حيث ظلت هذه المدرسة محافظة على سمعتها حتى بعد انتقال كرسي الحكم من مازونة إلى معسكرو قد اشتهرت بعدد من العلماء أمثال الرماصي القليعي و عبد القادر المشرتي و أبي راس كما اشتهرت بزاوية القيطنة القريبة منها و التي كان على رأسها الشيخ محي الدين ولد الأمير عبد القادر و اشتهرت كذلك المدرسة المحمدية[4].

أهل العمران بما لديهم من الصنائع و تعلقوا بأذيال الدولة... فغلب خطهم على الخط الإفريقي وعفى عليه... و صارت أهل افريقية كلها على الرسم الأندلسي فصار خط اهل افريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس>>[1].

أما التعليم العالي فقد كان يعطى في المساجد و الزوايا و دور العلماء و مجالس المناظرة و كان يعهد إلى كبار العلماء الأندلسيين و غيرهم و تجري عليهم المرتبات و لكن التعليم العالي كان أكثر انتشارا في المراكز الأولى منه في الثانية و كان يعتمد في أغلب الأحيان على النقل و الرواية لا على الرأي و الإجتهادو هذه الطريقة بعينها قد استمرت أيضا خلال العهد العثماني و لكن مع ضعف تبعا لضعف الأحوال القلعية و لإنتشار الدروشة والخرافات و قد شمل التأثير الأندلسي أيضا ميادين النحو و الأدب و العلوم والموسيقى وكان هناك علماء مختصون في كل من هذه الفنون ألفوا فيه و أثروا به على الأجيال القادمة[2].

كما كانت مساهمة الجالية الأندلسية بالجزائر بارزة أيضا في الميدان العلمي إذ لم تقتصر على الميدان الأدبي فحسب فقد برع الأندلسيون في ميدان الطب و الصيدلة و اتخذ عبد المومن بن علي الكومي الموحدي لنفسه طبيبا من الأندلس و حسب المصادر التاريخية فهو ابن زهر بن عبد الملك الإشبيلي (ت 557ه/1161م) و قام بتصنيف كتاب لعبد المومن تحت اسم الدرايات السبعيني[3].

و يعتبر أبي الحسن علي القلصادي الأندلسي من بين أهم الشخصيات التي لا تستطيع تجاهل تأثرها و تأثيرها في الميدان الثقافي و العلمي بعاصمة تلمسان حيث قال فيها:<< وأدركت فيها كثيرا من العلماء و الصلحاء و العباد و الزهاد و سوق العلم حينئذ نافقة وتجار المتعلمين و المعلمين رابحة و المهم إلى تحصيله مشرفة و إلى الجد و الإجتهاد فيه مرتقية فأخذت فيها بالعلم على أكثر الأعيان المشهودة لهم بالفصاحة و البيان ...>>[4].

و قد ذكر الحسن الوزان في وصفه للحياة الثقافية بمدينة تلمسان << توجد بتلمسان مساجد عديدة جميلة صينةلها أئمة و خطباء و خمس مدارس حسنة جيدة البناء و مزدانة بالفسيفساء و غيرها من الأعمال الفنية ... و المدينة يوجد بها قضاة و محامون و عدد